تفسير القرآن الكريم

٢٠-٩-١٤٠١ سورةُ الحِجْر ١٣

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادوي الطهراني

سورةُ الحِجْر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَ قُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾

سورةُ الحِجْر

رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾

سورةُ الحِجْر

ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِهِمُ
الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

سورةُ الحِجْر

وَ مَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَ لَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿۴﴾

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَ مَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿۵﴾

سورةُ الحِجْر

وَ قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾

سورةُ الحِجْر

لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلاَئِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾

سورةُ الحِجْر

مَا نُنَزِّلُ الْمَلاَئِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَ
مَا كَانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾

سورةُ الحِجْر

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾

سورةُ الحِجْر

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾

وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾

سورةُ الحِجْر

كَذٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾

لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ قَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

سورةُ الحِجْر

وَ لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

وَ لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ

- اخبر اللَّه تعالى نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم ان هؤلاء الكفار لشدة عنادهم و غلظة كفرهم و تمردهم و عتوهم «لَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ» فصاروا «فيه يعْرُجُونَ» و العروج الصعود فى الهواء تعلقاً به نحو السماء، عرج الملك يعرج عروجاً، فلو عرج هؤلاء عروج الملک، لقالوا هذا القول.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۲۳

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا

- و التسكير إدخال اللطيف فی المسام، و منه السكر بالشراب، و السكر السد بالتراب «لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا» بما ادخل فيها من اللطيف فی مسامها، حتی منعنَا من رؤية الأشياء علی حقيقتها. و أصل السكر السد بما ادخل فی المسام. و قال مجاهد و الضحاک و ابن كثير: معنی «سكرت» سدت قال المثنی بن جندل الطهوری:

التبيان فی تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۲۳

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا

- جاء الشتاء و اجثألَّ القنبر و استخفت الأفعى و كانت تظهر
- و طلعت شمس عليها مغفر و جعلت عين الحرور تسكر «۱»
- (۱) مجاز القران ۱/ ۳۴۸ و تفسير الطبرى ۱۴/ ۹ و اللسان و التاج (سكر، قبر) و تفسير الطبرى ۱۵/ ۸ و مجمع البيان ۳/ ۳۳۰ و الشوكانى (الفتح القدير) ۳/ ۱۱۰۸ (اجتأل) اجتمع، و تقبض، و انقبض. و (القنبر) و (القنبار) جمعه قنابر، و تقول: العامة:قنبرة. و هم جماعة يجتمعون لجر ما فى الشباك من الصيد، و هى لغة عمانية. و معنى (استخفت الأفعى) اى تخبأت الحية الكبيرة. بعد ان كانت تظهر. و طلعت الشمس عليها غيوم. و (الحرور) الريح الحارة. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۲۳

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا

- اى تسد بشدة البرد، و قنبر و قنبر- بضم الباء و فتحها- لغتان، مثل جندب و جندب قال رؤية: قبل انصداع الفجر و التهجر و خوضهن الليل حتى تسكر «٢»
- اى يسد بظلمته، و حكى الفراء: ان من العرب من يقول: سكرت الريح إذا سكنت.

- (٢) تفسير الطبرى ١٤/ ٩

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ٣٢٣

وَ لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ

- و قال ابن عباس و قتادة و الضحاک: المعنی «لَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ» فظلّت الملائکة تعرج الی السماء، و هم یرونها علی ما اقترحوه، «لَقالُوا: إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا» و قال الحسن: یظل هؤلاء المشرکون یعرجون فیه.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۶، ص: ۳۲۳

بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ

- «بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ» أى يقولون: سحرنا، فنحن مسحورون، و السّحر حيلة خفيّة، توهم معنى المعجزة من غير حقيقة، و لهذا من عمل بالسّحر كان كافراً، لأنه يدّعى المعجزة للكذّابين، فلا يعرف نبوّة الصادقين.
- و قال أبو عبيْدة: سكّرت أبصار القوم إذا ادير بهم، و غشيهم كالساتر فلم يبصروا.
- و روى ابن خالويه عن الزّهرى أنه قرأ «سَكرت» بفتح السين و كسر الكاف، و التخفيف أى اختلطت و تغيّرت عقَولهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۶، ص: ۳۲۴

وَ لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ

- قوله تعالى: «وَ لَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا» إلخ، العروج فى السماء الصعود إليها و التسكير الغشاوة.
- و المراد بفتح باب من السماء عليهم إيجاد طريق يتيسر لهم به الدخول فى العالم العلوى الذى هو مأوى الملائكة و ليس كما يظن سقفا جرمانيا له باب ذو مصراعين يفتح و يغلق، و قد قال تعالى: «فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ»: القمر: ١١.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٢، ص: ١٣٦

وَ لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ

- و قد اختار سبحانه من بين الخوارق التى يظن أنها ترفع عنهم الشبهة و تزيل عن نفوسهم الريب فتح باب من السماء و عروجهم فيه لأنه كان يعظم فى أعينهم أكثر من غيره،

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٢، ص: ١٣٦

وَ لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ

- و لذلک لما اقترحوا علیه أمورا من الخوارق العظیمة ذکروا الرقی فی السماء فی آخر تلک الخوارق المذکورة علی سبیل الترقی کما حکاه الله عنهم بقوله: «وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّی تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ یَنْبُوعاً- إلی أن قال- أَوْ تَرْقی فِی السَّماءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِیِّکَ حَتَّی تُنَزِّلَ عَلَیْنا کِتاباً نَقْرَؤُهُ»: إسراء: ۹۳ فالرقی فی السماء و التصرف فی أمورها کتنزیل کتاب مقرو منها أی نفوذ البشر فی العالم العلوی و تمکنه فیه و منه أعجب الخوارق عندهم.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۱۲، ص: ۱۳۶

وَ لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ

- على أن السماء مأوى الملائكة الكرام و محل صدور الأحكام و الأوامر الإلهية و فيها ألواح التقادير و منها مجارى الأمور و منبع الوحى و إليها صعود كتب الأعمال، فعروج الإنسان فيها يوجب اطلاعه على مجارى الأمور و أسباب الخوارق و حقائق الوحى و النبوة و الدعوة و السعادة و الشقاوة و بالجملة يوجب إشرافه على كل حقيقة، و خاصة إذا كان عروجا مستمرا لا مرة و دفعة كما يشير إليه قوله تعالى: «فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ» حيث عبر بقوله: «فَظَلُّوا» و لم يقل: فعرجوا فيه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ١٢، ص: ١٣٦

وَ لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ

- فالفتح و العروج بهذا النعت يطلعهم على أصول هذه الدعوة الحقة و أعراقها لكنهم لما فى قلوبهم من الفساد و فى نفوسهم من قذارة الريبة و الشبهة المستحكمة يخطئون أبصارهم فيما يشاهدون بل يتهمون النبى ص أنه سحرهم فهم مسحورون من قبله.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٢، ص: ١٣٦

وَ لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ

- فالمعنى: و لو فتحنا عليهم بابا من السماء و يسرنا لهم الدخول فى عالمها فداموا يعرجون فيه عروجا بعد عروج حتى يتكرر لهم مشاهدة ما فيه من أسرار الغيب و ملكوت الأشياء لقالوا إنما غشيت أبصارنا فشاهدت أمورا لا حقيقة لها بل نحن قوم مسحورون.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٢، ص: ١٣٧